ايران

معارضة ــ استشهاد ــ ثورة

بقلم فلاديمير مينورسكي

ترجمة منير يونس

[يعتبر الاستاذ فلاديمير مينورسكي الاستاذ المحاضر في جامعة كامبردج في انكلترا من اكابر العلماء والمستشرقين الذين تخصصوا بتاريخ «ايران» . لذلك فان بحثه هذا يعتبر ذا اهمية كبرى .]

قد تكون اولى الصعوبات التي اعترضتني في تحضير هـذا البحث، ان الموضوع المقرر في منهاجنا هو (الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية) ، بينما يميل الاتجاه الآن لنعالج على انفراد تاريخ الاوطان والشعوب العربية والارمنية والتركية ، كما نعالج تماماً تاريخ شعوب اوروبا بغض النظر عن ان هذه الشعوب كانت جميعها في القرون الوسطى تنضوي تحت سلطة الكنيسة ، وتستعمل اللغة اللاتينية ومجموعة القوانين التي تنطق باسم الكنيسة .

وبالدرجة الثانية فاني لم اطلع على مدى بحث السيد (سبولر) ، لذلك لم اتمكن من جعل بحثي على نسقه وكل ذلك حتى اتجنب كل تخطية او فراغ .

لقد كان اقبالي على عملي هذا من الناحية التاريخية فقط ، متتبعاً سير الحوادث التي كانت ستلقي بعض الانعكاسات على المعتقدات والديانات ، كالمرآة تنشد فيها الاجيال والطبقات والاحزاب صورها لتجد عوناً لهـا على توال مبتناها ، وان اهم الحقائق التي يجب اعتبارها عندما نتكلم عن بلاد ايران هي :

ان هذه البلاد كان لها تقليد خاص في الادارة والثقافة والفن قبل الفتح العربي او بالاحرى الاسلامي؛ ومن جهة اخرى فان الفتح المذكور قد تم بسرعة

في الربع الاول للقرن الاول الهجري تقريباً ، وكل ما تمكن المنتصرون من تقديمه للمغلوب هو الديانة الجديدة في شكل لم تكن تتناسب في ذلك الوقت مع مستلزمات الحياة الحضرية ، والشعر الذي يعكس حالة شعب بدوي في ايام الجاهلية ، وهذا عدا عن الدلائل المجهولة في المصادر السورية والارمنية ، فلم يبق هناك اية وثائق وطنية ، بينما التقارير العربية المسجلة فيما بعد ترتكز على مظاهر الاحداث الخارجية ؛ ورغم اطلاعنا التام على اخبار الفتح واحتلال المدن الرئيسية تظل اخبار الارياف غامضة جداً .

الفتح :

ان جميع المؤرخين متفقون على انه لم تستخدم القوة مع الشعب لاعتناق الدين الاسلامي ، وهذا لا يعني مطلقاً ان العرب لم يلاقوا مقاومة وقلّما توجد مدينة لم تسقط دون قتال حتى ان بلدة (قم) لم تخضع الا بالقوة في القرن الثالث للهجرة وحسب رواية (البلاذري) : ان عدداً كبيراً من سكانها ذبحوا . وان الادارة العربية لم تكن تهتم بالناحية الدينية ، كاهتمامها للناحية المالية حيث ان الشعوب غير المسلمة كانت مرهقة جداً بالاعباء المالية الثقيلة ولكن من ناحية اخرى كان هذا التباين الاقتصادي سبباً جعل الاشراف الايرانيين يعتنقون الاسلام ، زد على ذلك تجريد الاسياد الجدد للملاكين الكبار من رتبهم وامتيازاتهم وكل هذا اتى بنفس النتائج ، يؤيد ذلك ما قاله (البلاذري) في اشراف اصفهان بانهم كانوا يميلون الى دفع الخراج ولكن بما انهم ترفعوا عن تأدية الجزية فقد اعتنقوا الاسلام . وحسب رواية (الواقدي) التي اتى على ذكرها (البلاذري) ان العرب عندما وصلوا الى اذربيجان صادروا كل ما تمكنوا منه حتى ان البعض منهم اشترى املاكاً من الاعجام وقد طلب اهل القرى حماية العرب واصبحوا من فلاحيهم .

ان الاسلام كما هو معروف عنه يبشر بالديموقراطية ، رغم انه يعترف بالعبودية ، ومع كل هذا كان يجب ان يؤثر في سرعة تفكك نظام الطبقات المعترف بها رسمياً في الدين (الزرادشتي) ، وبالرغم من كل هذا ظل بناء الدولة الساسانية تقريباً على ما هو عليه يضم العناصر المتعددة التي اندمجت بيئة خارج النظام الجديد .

الخلفاء :

قلما تتوافر اية معلومات عن الحالة الداخلية في فارس في عهد الامويين ، وعندما اطلقت الاسن الدعاية العباسية بدأت سلسلة مقاومات ضد الحكم العربي منها قيام (بيهافريد) سنة (٧٥٠) و (صنباد الماغياني) سنة (٧٥٦) و (استاذسيس) (٧٦٥) (نبي خراسان المقنع) سنة (٧٨٠) واخيرا ثورة (بابك) الهامة التي دامت عشرين سنة ، وكانت تجربة قاسية للحكم العباسي . وفي الظاهر كانت الدوافع لهذه الثورات دينية محضة واننا نجد ان زعماءها كانوا من مؤسسي مذاهب جديدة. ان الحزازات الدينية شوهت حقائق بعض التعاليم الدينية منها العقائد الايرانية القديمة ، ومنها الانقسامات فيما بين الشيع الاسلامية العديدة ؛ والشيء الجازم المعلوم هو ان جميع زعماء هذه الفئات كانوا من الاعجام الصرف ولم يكن بينهم احدٌ من طبقة الاشراف . ومن المعلوم ايضاً ان ثورة (بابك) كانت مدعومة من غير العرب الذين سموا (العارج) وموجهة ضد السلطات الحاكمة اي العرب ، وفي هذه الحالة تمكنت من ان توطد الصلة مع الطليقات التي بقيت مدة خارج الاطار الرسمي . ان قيام الحكم العباسي سنة (٧٥٠) نتيجة للدعاية المركزة من قبل (ابي مسلم) وضعت حداً للامبراطورية العربية الممثلة بالامويين ، ومنذ قيام الحكم العباسي بدأت عناصر جديدة خاصة من خراسان وغيرها تدخل الدوائر الحكومية الرسمية في بغداد ، وتضع اسس النظريات الشعوبية التي ايقظت احفائظ الكامنة منذ عهد ما قبل الاسلام ، ويعتبر عام (٨١٣) نقطة تحول لتسرب الاعجام الى الدوائر الحكومية الرسمية ومعترك الحياة السياسية حيث انه في تلك السنة اعتلى (المأمون) وهو ابن ام فارسية عرش الخلافة .

التحرر السياسي :

ان زمن الحركات الثورية المتجلببة بجلباب الدين قد انتهت ، واخذت حركة تحرير فارس السياسي مظهراً سياسياً لا دينياً ، فقد بدأ انحلال الخلافة بانسلاخ عدد من المقاطعات تحت رعاية (سلالات) خراسانية جديدة ، وان الخلاف الذي

فصل (الطاهريين) عن بغداد لم يكن ظاهراً ، و (الصفاريين) من جهة اخرى لم يكونوا يتكلون على منشأهم الديموقراطي ومسلكهم الاستقلالي لانهم قد قلبوا صفحة جديدة في تاريخ ايران ومع انه كان عليهم ان يحاربوا الزعماء (الخارجيين) الدمار ، فقد كانت حركتهم السياسية مستمدة من افكار وآراء منافسيهم المعتدلة ، وبعض المصادر المتأخرة ذهبت بنسبتها الحركة الشيعية الى (الصفاريين) ، ومهما يكن من امر فحكام (سيستان) انفصلوا تماماً عن سلطة الخلافة وبوجه عام لم يعد الدين ذا تأثير في حركتهم السياسية ، اما (السامانيون) في (بخارى) فقد وطدوا ثانية النفوذ الصيني ، ولكن محاولتهم لتوطيد المركزية جعلتهم على خلاف مع اقطاعياتهم ، ومن الغرابة جداً ان نرى رجال الدين السنيين يشكون في ميول بعض (السامانيين) الذين رغبوا بتوسيع دائرة نفوذهم متعاونين مع غلاة الشيعة والطبقات الخيّرية ، وقد تناضوا عن الشعور الوطني وضحوا بالسامانيين للاتراك الغربا . ولقد استقط في يد الخلافة بمساعدة (السامانيين) حيث انه في اواسط القرن العاشر قامت حركة قوية جداً في اواسط وغربي فارس احدثت سداً منيعاً ما بين بغداد وخراسان . ان هذه الحركة قد بدأت من شمال فارس ومن مقاطعة قزوين بالذات ، وحيث ان العرب لم ينجحوا بتركيز النفوذ في تلك البقعة من البلاد فانهم لم يتمكنوا من مقاومته ، واصبحت (جيلان) دويلة مستقلة تحكم بواسطة امراء يعيشون على ذكريات ما قبل الاسلام . ولقد تسرب لاجي يسمى (علي زيد) الى جيلان فتمكن من استمالة السكان لاعتناق مذهب الشيعة وحيث ان اساس هذا المذهب يقوم على اسس ديموقراطية فقد اكتسب مناصرين عديدين فخسر الامراء نفوذهم وتمكنت (الري) و (شيراز) من الحكم الذاتي ، وهكذا اصبحت الهضبة الايرانية بكاملها مستقلة عن الخلافة ، ايضاً وبرعاية عائلة (بويض) نشأت مقاطعات مستقلة في اذربيجان وكردستان وما بين النهرين ويجب ان لا يغرب عن البال ان بلاط (بويض) في الري وشيراز كان مركزاً عظيماً للثقافة ، وكان الوزير (ابو الفضل بن العميد واسماعيل بن عباد) من حماة الادب والعلم ، وابن سينا خدم ايضاً كوزير في بلاط (الكاكويين) خلفاء (آل بويض) وهنا يتضح بان عهد (آل بويض) انتهى الحكم

العربي واسس حكماً فارسياً قائماً على اسس مضادة للفكرة الاسلامية الراشدة، وعاملاً لتكوين الضمير الوطني في فارس لمدة مئة وعشرة اعوام، وكل هذا التأسيس للحكم الايراني الذاتي داخل السلطة الطويلة من الاحتلالات الاجنبية، ولذلك لا يقل تقليد (آل بويه) عن تقليد (عائلات خرسان)، واذا كانت (الشاهنامة) اثارت صدى شعور الاشراف في عهد السامانيين فان بدعة آل (بويه) وانتمائهم كلياً في الشيعية هو العامل الثاني في خلق واحياء الوعي الوطني في فارس، ولم تكن القضية قضية تعاليم ومعتقدات بل هي مقدرة في توجيه الافكار والاحساس سوية في الحياة اليومية، فمثلاً نجد صفة الاعياد ومظاهرها ترتدي صفة غريبة في فارس واكثرها احتفالات بذكرى الموت او حداد مبالغ فيه وكلها انعكاسات لعادات (الديلميين).

الاتراك:

بعد السامانيين والبويهيين استولت على الحكم العائلات المالكة التركية ومنها (الكازاخانيون) الذين لم تتجاوز حدودهم نهر (الاوكوس)، و (الغزنويون) الذين تمركزوا في المحور المؤدي الى الهند، وان تدخلهم في اواسط فارس لم يكن الا لمدة قصيرة، وقد ركز (محمود) رسمياً النفوذ السني نهائياً وقام بحملة شديدة للضغط على (المعتزلة) وبقية الانحرافات التي كانت قد نشأت في (الري) نتيجة حكم (آل بويه) العادل، ورغم كل هذا ظلت الري مركزاً للاختلافات الدينية حتى ايام المغول. واما قضية غزو شاطئ (الاغز) بقيادة السلجوقيين فهي موضوع آخر. لقد كان محورهم قائماً من الشرق الى الغرب وبما انهم كانوا يتجولون وبرفقتهم عائلاتهم ومواشيهم كان بامكانهم العيش مع اهل البلاد والسيطرة على مجتمعاتهم ولغتهم وهكذا اصبح سكان اذربيجان يتكلمون اللغة التركية، وبذلوا جهداً كبيراً لتركيز المذاهب السائدة بمساعدة الدولة، ولكن رغم كل الاحترام الذي كان يلاقيه الخليفة فلم يكن في حالة استقلالية اكثر مما كان في عهد (البويهيين) حتى ان مستشاريه لم يكن لينتقيهم الا من الوزراء السلجوقيين امثال (الكندري) و (نظام الملك).

علينا بعد هذا ان نتكلم عن ادارة السلجوقيين للدولة ، وفي الحقيقة كان الهدوء والسكينة يخيمان في عهد (آلب ارسلان) و (ملك شاه) ولكن زمنها لم يدم طويلاً فمنذ سنة (١٠٦٣ الى ١٠٩٢) وبعده تتابعت الخلافات والخصومات ، فقد ظهر اثناء حكم السلجوقيين تعاون وثيق ما بين المحتلين والبيروقراطية المنتقاة من بين الاعاجم هذه الطبقة الجديدة التي تميزت عن (الدهاقنة) في عهد (السامانيين) ، وفي (سياسة نامة) لنظام الملك نجد وثيقة ذات اهمية كبرى تضع برنامجاً يوجد ما بين قوة الاتراك واساليب (السامانيين) والخلفاء العباسيين الادارية لان نظام الجواسيس والمراسلين والجيش التي هي مجموعة مشكلة من مختلف العناصر ، هذه المجموعة تجانست تماماً وعملت على تأسيس الكليات الدينية وهي المؤسسات التي كان موكول اليها مراقبة الطرق المستقيمة التي يتبعها الشعب وقد قال الغزالي : (ان الدين والحكومة هما توأمان لا يمكن لواحد ان يعمل دون الآخر .)

ورغم كل هذا كانت تعد اشياء كثيرة وراء الكواليس ومن ابرزها الحركة الاسماعيلية التي لعبت دوراً مهماً في ذلك الزمن ، وقد شبه (بارتولد) ظهورها بالرجوع الى الاقطاعية الايرانية ظاهرياً لتثبيت نظام حكم الاشراف ، وكل هذا ربما كان راجعاً الى وجه الشبه ما بين قلاع الفدائية الاسماعيلية وقلاع اسيادهم الاولين حكام المناطق ، ولكن الحقيقة كانت تعكس ذلك والشبه لم يكن الا خارجياً ، فبينما كان لحكام المناطق يعكسون فكرة استقلال كل مقاطعة لوحدها ومحاربة كل الاتجاهات التي تميل لتوحيد المملكة ، كان الاسماعيليون فيما بعد على عكس ذلك يسعون لتوحيد حكم البلاد على اساس نظام يجمع جميع الطبقات تحت لواء اجتماعي واحد ينبي بجنب درجات الاشتراك في العمل ، وزادهم رغبة تأسيس الحكم الفاطمي في مصر كما مثله (ناصر خسرو) وانه من الظلم ان نحكم على رؤساء قلعة (آلموت) ، وبقية القلاع الاسماعيلية بانهم كانوا مغامرين طموحين ، والحقيقة ، فان القساوة التي عامل بها الحسن ابن الصباح اولاده بسبب هفواتهم تعطي البرهان الاكيد على مدى التهذيب والتربية والنظام المعنوي السامي الذي كانت تحكم به (آلموت) ولحد ما كان الاسماعيليون يتسمون تفكير ونظام (البويضيين) ، ومن غريب الصدف والجدير

بالانتباه وجود مركزهم الرئيسي وسط منطقة (الديلميين) السابقة حيث الميول كانت لم تزل حية ، وعندما يتطلع المرء الى تلك الصخرة (ألموت) يقف واجماً امام منظرها ومساحتها القليلة فهي دون اية مساعدة خارجية تأتيها من المناطق المجاورة كانت تصد في وجه الفاتحين مدة طويلة . ومن اعداء زعماء الاسماعيليين نستطيع ان نحكم بانهم كانوا من الطبقة الحاكمة التي لم تفكر بعقد الصلح مع الاتراك الغاصبين ، وليس هناك مبرر للقول بان الاتراك ورؤساءهم السلجوقيين كانوا يستقبلون في فارس كمحررين . وقد اورد (نظام الملك) مقطعاً من خطاب رفعه لسيده (ألب ارسلان) ورتل فيه الى مستمعيه :

« نحن غرباء في ارض اخذناها عنوة ، نحن مسلمون اتقياء وهؤلاء الاعاجم لهم مذهب ردي خاص كالديلميين »

والحقيقة فان الاغتيالات السياسية لم يكن لها وقع جسن في النفوس ولكن هذا هو مخطط الحركات المعارضة التي تحارب قوة السلطة وخاصة عندما تكون هذه الاخيرة تتكل على العون الخارجي . وان قوة المعارضة تقاس بنسبة رد الفعل المحدث لدى الحكومة ، لذلك فان قسماً كبيراً من (سياسة نامه) تحتوي على مقاطع حادة ضد تخطيطات الهراطقة الثوريين وعلى نفس النهج كتب (الغزالي) رده على الباطنية ، وهو على مستوى اعلى من مستوى (سياسة نامة) ، ولكنه كان يحمل موافقة الحكومة ، ومما يجدر ذكره ان (الغزالي) كان في ذلك الوقت استاذاً في الكلية النظامية .

ان موقف السنيين العام من الحكومة يستوحى من بعض المقاطع في كتاب (احياء علوم الدين) ومن جهة واحدة يحاول الغزالي بتحفظ امكانية قبول اعانات مالية من الطغاة لان القسم الاكبر من اموال اللاهاين في عهدنا هذا هو حرام والقسم الحلال منها اما انه غير موجود او نادر جداً ، ومن جهة اخرى فان اللاهوتي العظيم الغزالي يتكلم عن قوة السلطان بشؤم اذ يقول: (ان سلطاناً طاغياً بربرياً ظالماً يحكم بالقوة ولا يمكن خلعه بدون صعوبة حتى ان اقل محاولة لذلك قد تسبب حرباً اهلية فهذا الحاكم يجب الابقاء عليه وتقديم الطاعة له كما تقدم الى الامراء . ان الحكومة في ايامنا هذه هي وليدة

القوة وحدها وايا كان الشخص الذي يدين له صاحب القوة بالولاء فهو ذلك الشخص الذي يجب ان يسمى « الخليفة » ، بناء عليه فان الحاجة تجعل المحرَّم «شرعياً». بهذه الصراحة يتمثل مدى الضغط الزمني على الفكر والحريات حتى على اعظم مشرع بين السنيين .

التصوف :

لقد بدأت الميول نحو الصوفية تنمو وتمتد في ايران منذ عهد الغزنويين والسلجوقيين ، فهي غريبة عن الشعر الغنائي الذي شاع في عهد السامانيين ، وعن الشاهنامه التي هي مفخرة الايرانيين ، ومن جهة اخرى فان الميول نحو الصوفية جاءت مع الغزاة ونحن مضطرون الان ان نوضح سبب معاودة ظهورها بسبب عوامل خاصة مع سير الزمن

يوجد مجموعة ادبية عظيمة عن الصوفية التي تعالج التصوف كميل طبيعي في الانسان ، حيث ان هذا الميل قد ظهر في كل البلدان ، وفي اوقات مختلفة ولكن يبقى علينا ان نعمل على كشف مصدرها الشخصي ، وابعد من ذلك ماضيها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، ومهما يكن من امر فان للانسان منطقه السياسي ، وان الانحرافات المذهلة التي تقود الى التصوف والزهد والوحدة التأملية قد تخلق فراغاً بينه وبين محيطه والعالم لا يستحق الوصف فقط بل التحليل النفساني العميق ، ومن جهة اخرى فهذا المظهر شائع جداً وواسع الامتداد حتى انه من غير الممكن ايعازه الى التشبه بالمثل وتأثير الدعاية والسعي لاكتشاف جذوره في حالات الزمن المختلفة . وقد كان لظهور روح التصوف في الادب البرلندي بعد الهجرة العظيمة يغوي الواجد على حسبان روح التقشف الظاهرة في فارس ، فهي نتيجة اجنبية من الحياة التي لم تؤدي الى رغبات مباشرة وانه يجب عدم المزج في الصوفية ، حيث انها توجد على انواع مختلفة فمن الصوفيين من طلب النسيان في التأمل ، وعلى النقيض الآخر ولكن تحت ستار الصوفية ، وبعضهم كان من العسكريين الذين قادوا الحملات ضد الكفرة ، او رجال طموحين يطلبون النفوذ السياسي بين اتباعهم ، ورغم وجود هذه التشكيلة من انواع الصوفية فان تأثيرها الخاص والعام جعل .

الايرانيين يتبعون طريق الهدوء والخضوع وهكذا حكم عليهم ان يصبحوا فريسة جميع الغزاة . وانني لا ادري تلك الزهرات الجميلة التي يعتبرها الاعجام اثمن موجودات ادابهم وكل فضيلة لا تخلو من الخطأ ، وفضائل الصوفية التي هي بالاساس قد عكست تحول تاريخ فارس واضعفت تلك الروح القوية التي تعد احدى فضائل الاسلام ، وبالتالي فمنذ عهد السلجوقيين وصاعداً نرى ان الديانة الرسمية مرتبطة بمصالح الحكام المعارضة الشيعية بالاتفاق مع حركات عديدة تقاوم السلطة القائمة والعصر المسدود الذي عاشت فيه الاجيال فالتجأت الى طرق اصطناعية للتملص من الحيرة.

المغول واواسط آسيا :

بعد تفسخ الامبراطورية السلجوقية ظهرت عناصر جديدة في آسيا الوسطى ، وضع الملك محمد سلطان خوارزم نفسه تحت حماية (كاراختاي) رئيس الكفار في منشوريا ، واخيراً خسر مملكته نتيجة للغزو المغولي وان كشافة جنكيزخان ظهرت في خرسان حوالي سنة ١٢٢١ ، وحتى سنة ١٢٩٥ حوالي مدة ثلاثة ارباع القرن عاشت فارس تحت حكم امراء كفرة لم يفرقوا ما بين معتقدات محكوميهم الدينية المختلفة ، فهم كانوا يستخدمون جيشاً مساعداً من المسيحيين بالاضافة الى مستخدمين من اليهود ووزراء واداريين استقدموهم من الشرق الاقصى. في تلك الحقبة من الزمن تماماً لاقى مدن الشرق الاوسط اكبر قدر من الاهانة وقد بلغت ذروتها حينما نهبت مدينة بغداد ومات الخليفة المتعصم سنة ١٢٥٨ .

ان جموع الغزاة العابرة التي تدفقت على البلاد كانت تتحمل صعوبة الاسكان والاطعام ، عدا عن قضية الاستيعاب ، وكل هذا كان عملاً شاقاً وطويلاً ، غير انه من الناحية الثقافية كان مقبولاً بمجرد ان اصبحت مدينة (تبريز) عاصمة امبراطورية عظيمة على خط المواصلات ما بين الشرق الاقصى والغرب وقد فتحت افاقاً جديدة امام الاعجام ، ومنها ان فن التصوير الفارسي الدقيق تأثر بفن التلوين الصيني ، كما ان سلسلة من المؤرخين الاعجام العظام ابدعوا اعمالاً مهمة جداً جاوزت شهرتها بلاد العجم وحتى بلاد الاسلام ، وكما قلنا

سابقاً ان المغولين تسامحوا جداً مع بقية المذاهب بينما عقائدهم التي كانت غامضة وبدائية لم تلاق نجاحاً ما بين السكان، واذا كان المغوليون قد وضعوا حداً للخلافة في بغداد، نرى من جهة اخرى انهم قاموا بخدمة مجيدة للمسلمين الا وهي تهديم قلعة (ألموت) التي كانت تقض مضاجع المجتمع السني في فارس، وما ان تحرر السنيون من عدوهم الداخلي حتى عوضوا عن خسارتهم، وفي سنة ١٢٨٢ اعتلى عرش تبريز (غازان خان) كان قد اعتنق الاسلام وبقي على العرش مدة قصيرة عندما دخل هولاكو خان العجم سنة ١٢٥٠ كان عدد المغولين الاصليين الذين ينضوون تحت امرته ما يقارب المئة الف مقاتل ولكنه نقص عشر هذا العدد في المعركة ضد مصر، ولذلك اصبح من غير الممكن الحكم على هذه المساحة الواسعة من الارض وهذا العدد الضخم من السكان بواسطة هذه المجموعة الغريبة من الجيش (المغولي، المسيحي، القوقازي) ولهذا نرى انه في سنة ١٢٩٥ اتخذ غازان خان ذلك القرار التاريخي الذي لا مندوحة منه وهو اعلان اسلامه مع جيشه ليجنب نفسه الى الاكثرية الساحقة من رعيته كما كانت الطبقة البيروقراطية في خدمة الاتراك وحباً بالاحتفاظ بمراكزهم تابعت تعاونها مع المغول من جهة ثانية، وتاريخ المغول المشهور لمؤلفه (عطا ملك الجويني) هو نفسه يمثل اعرق العائلات البيروقراطية . وبينما نرى المؤلف يذرف الدموع السخية على الحالة التي وصل اليها المسلمون نراه في نفس الوقت يعزي لاسياده الكفرة الدور الذي قال عنه الله «هم جنودي الذين بواسطتهم اقتص من العصاة» وموقف البحاثة الشهير (نصير الدين الطوسي) يظهر تلك النفسية السائدة بوضوح حيث انه بعد ان اقام في خدمة «الاسماعيلية» مدة طويلة عمل كمستشار (لهولاكو) في معركة بغداد وانهى ايامه مسروراً في المرصد الذي بناه حماته الجدد باموالهم الخاصة . لقد ساعدت هذه النفسية المرنة الاعجام على اجتياز عدة صعوبات ولكنها في الوقت نفسه اثرت على الخلق القومي

. بعد ان سقطت امبراطورية المغول في اواسط القرن الرابع عشر لم يتمكن الاعجام من جمع شملهم وتأليف وحدة سياسية بسبب بقايا الغزوات المتتابعة ونتيجة لذلك نشأت عدة امارات في الجهات المختلفة من الهضبة الايرانية ومن اغرب الامارات كانت جمهورية (سابزافار) التي حكمت بالتتابع من قبل

قواد وزعماء اتوباء متحمسين لمذهب الشيعة . وكانت هذه آخر دور للتقاليد الثيوقراطية التي بواسطتها استهامت هذه البدعة (اي الشيعة) في بلاد العجم .

تيمور :

لم يكن تيمور بأقل طمأ من سابقيه الغزاة . وان غزوه بلاد فارس اسقط جميع تلك الامارات التي قامت على انقاض الامبراطورية المغولية وقد كان هذا الغازي من اتباع مذهب السنة وزيادة على تحمسه لتعاليمه كان يكن الاحترام الزائد للقديسين والمشائخ الذين كان يعتقد بأن فيهم قوى فوق الطبيعة ، والاغرب من ذلك انه كان يعتقد ببعض الخرافات التي ورثها عن اجداده الاتراك الوثنيين ، وقد ترك تيمور العجم مشوشة ومجردة من اصحاب الحرف والبحاثين والفنانين الذين كان قد اخذهم معه الى اواسط آسيا . ان الملك الملقب « بالملك الاكثر اسلاماً » وهو « شاروخ » كان يشيرون بطرف خفي الى وجود الخلافة قائمة في شخص سيدهم على اساس ما ورد في القرآن الكريم « والله يعطي الملك من يشاء » ومهما يكن من امر بمجرد وجود ملك قوي افترضت البركة الالهية وهذه طريقة اخرى للاقتراب من قضية « القوة الواقعية » الذي انحنى امامها (الغزالي) . وهذه النظرية تركت اثارها في اسلوب الملوك الغامض في العجم ومنهم (الصفويون) و (القاجاريون) ، ورغم انتصار السنة وحتى في ايام (تيمور) امس (فضل الله استرابادي) المذهب السري الجديد وهو (الحروفية) ومع ان الميزة الخارجية المعروفة لهذه التعاليم هو استعمال القيمة العددية للكلمات وعدا عن هذه (الشيفرة) لا تكشف كتب (الحروفيين) التي لا تزال محفوظة حتى الان شيئاً عن غوامض هذا المذهب ، وقد اعدم ابن (تيمور) (ميران شاه) (فضل الله استرابادي) سنة ١٣٩٣ وهاجر مساعدوه الى تركيا حيث مبدأ (البكداشية) وحتى في الشرق بقيت الدعاية السرية مستمرة والمحرضين على محاولة قتل (شاروخ) سنة ١٤٢٧ اتهموا (الحروفية) بذلك ولو لم تكن اتخذت حجة للاتهام لاستنتج بان وراء هذه النظريات المبهمة الصعبة الفهم خطة سياسية تفاضت عن مميزات هذا الملك السني الورع .

القرن الخامس عشر :

ان النصف الثاني من القرن الخامس عشر ملوء بالاستيلاءات من قبل غزاة جدد اتوا من الغرب عندما اجبر المغوليون قبائل (اوغوز) على التراجع من المملكة السلجوقية باتجاه ارمينيا وسوريا وآسيا الصغرى وقد اغتنم هؤلاء التركمان الفرصة السانحة لملء هذا الفراغ الذي ورثه ضعف الحكام التيموريين وصراعهم ومن العائلتين المالكتين من التركمان الاولى عائلة (كاراكونيلو) والثانية عائلة (اك كونيلو) نجد ان دراسة الاولى انفع من الناحية الدينية حيث ان الطريقة لا تزال خفية تسرب الى قبائلها مبدأ الشيعة حتى المتطرف منه ويجب دراسة هذه المسألة سوية مع دراسة حركات البدع المستحدثة التي اشتدت في القرن الخامس عشر وهزت آسيا الصغرى معارضة المركزية العثمانية .

انني اعتقد شخصياً بان هذه الشيعة او هذا المذهب مذهب اهل الحق معروفاً (بعلي الله) وقد انشئ في نفس الوقت ولا يجوز لأي امرئ التخمين بان مشايعي هذا المذهب هم فقط من غلاة المتعبدين للخليفة الرابع وسلالته والحقيقة ان هذه الشيعة تؤمن بسبع دورات لمظاهرات (ظواهر) روحانية وفي هذه الفكرة ترأس على القسم الثاني بينما الظهور الكامل للحقيقة جرى في القسم الرابع تسم (السلطان اسحق) الذي اثبت المبادئ واسس الشعوس ، وهذه الشيعة تسير على خط مستو لبقية الشيعة المتطرفين كالدروز والنصيرية الخ... وانها منتشرة كثر مما يظن حيث انها محببة جداً الى طبقة الشعب العامة كالبدو الرحل والتجار والعمال والخدم ويظن بان انحرافات عائلة (كاراكونيلو) قد مهدت الى ظهور الصفويين العظيمة وافسحت امامهم المجال لكي يلعبوا دوراً اولياً على مسرح سياسة ايران .

الصفويون :

لقد ظهرت نقطة تحول ما بين سنة ١٥٠٠ — الى — ١٧٢٢ في تاريخ فارس باسترداد ما فقدته وتثبيت قوتها ، ولكن الصفويين ظهروا اول مجيئهم كغزاة جدد ، والحق ان الطريقة التي استعملها مؤسس هذه العائلة هي تجميع نفس عشائر التركمان التي جمعتها قبله عائلتا (الكاراكونيلو) و (الكاكونيلو) كان

احتلالها لفارس باختلاف بسيط عن غيرها بالنسبة للعقائد التي اعترف بها العهد الجديد، حقاً في عهد (الكاراكونيلو) كانت هنالك بعض الانحرافات عن التعاليم القويمة لكن في عهد الصفويين قد قلّ اتباعهم من المتحمسين وبشكل خاص الشيعة المتطرفة . ومن المعروف ان عائلة مشائخ (اردبيل) قد اشتهرت بانها هي التي تنحدر من المبدأ الذي لا عيب فيه وعلى هذا الاساس اكتسبوا اتباعاً كثيرين بين قبائل التركمان حتى في سوريا وآسيا الصغرى ولم يطرأ اي تغيير على هذه العائلة الا في عهد جد الشاه اسماعيل . ان طموح الشيخ الفتي (جنيد) سبب له النفي وقد ظل يتجول عدة سنوات بين القبائل الموالية لعائلته وحيث انه مشكوك في صحة سلالة الصفويين بانها تنتسب الى عائلة النبي (صلعم) فان قول الشيخ (جنيد) بانه تجسيم حي لسلالة الائمة لا ينطبق على الواقع . وهكذا فان اكتساب قلوب البدو الرحل كان (اسرع استدراجاً لقلوب الغير الرحل) الذين لم يكونوا متحمسين لتعاليم وتقاليد سكان المدن بل متحمسين لمجرد تمكنهم من لمس يد انسان متجسدة فيه الروح الالهية ومتى القدرة على كل امر مستندين الى فئة الدراويش التي نشأت من القبائل المختلفة ، وقد جرب الشيخ (جنيد) ومن بعده ولده (حيدر) بان يركزا قوة اتباعهما لشن حملات ضد القوقاسيين الكفرة، ومع ان الصفويين كانوا مرتبطين بعلاقات زواج مع امراء عائلة (الاك كونيلو) لم يمنع هذا تلك العائلة من ان تحسب حساباً للتجمعات والتخوف من نشوء ولاية ضمن مملكتهم ، فتأهبوا لصد هذا العدوان العسكري وقتل الاب وبعده الابن في اثناء هذه الحملات العسكرية وان دماء الشهداء وحّدت عائلة (الصفويين) ونشأ اسماعيل الصغير ابن حيدر محاطاً باهال كبار لكي يصبح المنتقم الوحيد لاجداده .

عدا عن القصص الخرافية الدينية التي تصف احلام هذا الامير الصغير وعجائبه فلدنا من شعره المذكور في ديوانه المكتوب باللغة التركمانية (لغة اذربيجان) ما يفيدنا عن مطالب هذا الامير ، وتؤكد هذه الاشعار ان مؤلفها هو الفاعل المطلق ، ويحق السجود له كما يحق لله ، وايضاً فان لنا من اخبار المسافرين في عهد (الصفويين) ما يؤكد من ان (الشاهات) كانت تقدم لها فرائض العبادة من الاتباع كما تقدم لله عز وجل ، وقد كلفته اي اسماعيل

غزو العجم ثانية وفرار عدد كبير من اللاجئين الى تركيا وآسيا الوسطى واسس دولة لاهوتية كما هي الحال في التيبت اليوم بالنسبة (للدالاي لاما) -- لقد حكم هذه الدولة بمساندة الدين ، وقد ساعدته الفرقة الفريدة في نوعها المسماة (شاهي سڤان)اي اولئك الذين يحبون الشاه ،غير انه كثيراً ما كانت تحدث الخلافات الشديدة بين اتباعه وبين هؤلاء ،وكان تحكم بهذا الخلاف الفرقة الدينية المسماة (صلاحي شاهي سڤاني) التي كان يقبل بحكمها المبرم جميع هؤلاء الاتباع .

كثيراً ما كنا نسمع بان اعمال الشاه اسماعيل احدثت ثغرة في المجتمع الاسلامي ولكن من وجهة نظر الاعجام فان الانفصالية هي التي حفظت الاعجام ، فمن الغرب كانوا مهددين بالعثمانيين ومن الشرق بقبائل (اليوزبك) ، وكانوا يخشون عليها شيئاً فشيئاً فما كانت الا لتسقط تحت تأثير هذا الضغط وهذه القوة من الهجوم التركي ولكن هذه الديانة الجديدة بميزتها المذهلة ساعدت على تركيز القوة المركزية ومن ناحية اخرى هذه التعاليم الجديدة التي كانت بحد ذاتها لا صلة لها بالقومية الفارسية وعلى هذا تمكن الاعجام من حفظ حقوقهم دون ان يندمجوا تماماً بالتعاليم الاسلامية الصحيحة او بالاوتوقراطوس التركي الكبير الذي يهددهم بالابتلاع .

ان اتباع (الصفويين) الرئيسيين كانوا من الاتراك وكل دولة تقوم على اساس عشائري تفقد صلابتها ومتانتها ، وهكذا فان خلع الشاه اسماعيل سبب صعوبات جمة مع فرقة (الشاه سڤان) ، واخيراً وجد الشاهات بانهم مضطرون لتفريق بعض هذه القبائل وفرط عقدها ،وبعد مرور مئة عام على حكم (الصفويين) اسس الشاه عباس جيشاً على اسس حديثة وقد استبدل القبائل التركية وهم عنصر الجيش الرئيسي بجنود من القوقاسيين الحديثي الايمان الذين كانوا يوازرون جيش الانكشاري الدائم واخيراً اتخذ المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة مكان المذهب السابق واحتل علماء لاهوتيون شيعيون من سوريا جبل عامل والبحرين وقام ركن الدولة الديني الاول (الميرزا باكير) باضطهاد فئة الصوفيين من متطرفي جماعة (الشاه سڤان) وبتثبيت دعائم الدولة المختارة السابقة وهذا الترتيب الجديد كان احد اسباب سقوط الدولة الصفوية عندما هاجمهم « افغان كاندار » سنة ١٧٢٢ عندئذ لم يتمكن الشاه من

مقاومتهم بجزيه الوحيد ، ومما يدعو الى العجب كما يقول المؤرخ براون انه في اثنـاء تلك الفترة اي في زمن حكم الصفويين لم يظهر شعراء عظام ويعزون ذلك الى الروح الصوفية التي تغلغلت في الشعر الفارسي واعطته لوناً خاصاً من تاثير ايام الحيبة والضيق ، حيث ان روح التصوف لم تكن لتتناسب او تماشي عهد تجديد الدولة زد على ذلك شعور الشعراء بانهم مقيدون جداً باكمال نماذجهم لانهم لم يتمكنوا من ايجاد فن جديد حتى في زمننا الحالي فان ، نفوذ الماضي يؤخر ويؤثر على تخيلات الشعراء الفرس الجدد غير ان قوة عهد الصفويين المبدعة تجلت في فن العمارة والتصوير الدقيق الملون وهذان النوعان كانا اصلح وانسب الانواع الفنية لذلك العصر .

نادر شاه ١٧٣٦-١٧٤٧ :

تمكن نادر شاه بطريقـة دراماتيكية من استرجاع الحالة بسلسلة من المعارك ضد العثمانيين ، وفي الهند وآسيا الوسطى توصل الى تمديد حكمه حتى الى ما بعد حدود بلاد ايران القديمة . ونادر شاه ينحدر من قبيلة (افشار) التركمانية التي كانت تابعة لاتحاد (الشاه سفان) ولقد اتخذ لنفسه في بدء حياته لقب (طهماز كولي) اي عبد طهماز لاظهار مدى تعلقه بالصفويين وآخر ملوكهم ، وبعد انتصاراته الكبيرة عزل (طهماز) فجأة عن سياسته الدينية ووضع الشروط اللازمة لقبوله التاج بان يترك الفرس طريقة الشاه اسماعيل وكان قصده من وراء ذلك توحيد الاسلام بجعل السنة تعترف بالشيعة انها الركن الخامس للدين تحت رعاية الامام الخامس جعفر الصادق . ان المصادر المعاصرة تشرح هذا الاتجاه غير المنتظر بان القصد منه كان دنيوياً وذلك لتسهيل مشكلة ضم المقاطعات الجديدة المتعصبة ودعم مخططه نحو الامبراطورية العثمانية . وعلى كل حال فهذه الخطط لم تلاق نصيبا من النجاح ، وعندما علم العثمانيون ورجال الدين السنيين بثاقب نظر نادرشاه ونياته رفضوا بصراحة ارجاع حقوق الشيعة ، وفي اواخر ايام حكمه وبعد انتصار جديد على العثمانيين اعترف نادرشاه بتفوق السلطان كونه (خليفة المسلمين) ومن الواضح ان هذه النهاية قد سببت تذمراً عاماً ، ولم يعد نادرشاه يقادر على التغلب على مصاعبه وشعر رجال الدين الشيعة

الذين كان قد جردهم من اموالهم وامتيازاتهم بانهم خذلوا ، وفي كتب الشيعة وصف الملا. نادر شاه بانه كان فظيعاً ، لذلك اكتسب خلفه لقب (عادل شاه) حيث ارجع لرجال الدين الشيعة جميع املاكهم المصادرة ، وكل محاولات نادرشاه لتعديل الدين ذهبت سدى حيث انه برجوع الشيعة لمركزها برهن على ان هذا الشكل من الدين مع ما خلفه (الصفويون) العظام من ذكريات طيبة يتناسب تماماً وميول وشعور الفرس ولم تعد الشيعة المنتصرة في حالة نزاع بل انها قد هيأت السعادة الدنيوية لجميع المنتفعين بها سابقاً .

القاجاريون : ١٧٧٩-١٩٢٥

منذ ابتداء عهد القاجاريين حتى تاريخ ثورة العجم سنه ١٩٠٥ لعب رجال الدين الشيعة الدور الرئيسي في الحياة العامة فكانوا يتمتعون بامتيازات ثابتة ويقفون عثرة في سبيل تقدم البلاد وقد حدثت محاولة واحدة في عهد (قاجار) لاصلاح حياة فارس الدينية بقيادة ورعاية (الباب) واتباعه ورغم كل ما كتبه المؤرخون امثال (دي كوبينو) و(كاظم) و(براون) و (نيقولاس) عن نظامه الديني واهدافه بمحاولته سبق جميع عناصر الدين الإسلامي من جديد وخاصة مقاومة البدع الاسلامية التي ظلت غامضة ، وفي الواقع فان حياته القصيرة لم تمكنه من تجهيز نظام مرتب ، ومن الشيق ان نعلم بان الوعظ والتبشير كانا بين الطبقة المتوسطة البورجوازية الصغيرة ورجال الدين الصغار والتجار والباب نفسه كان من عائلة تجار ومن الطريف ان نجد ان من مطاليبه بعض التفاصيل التافهة كاعتبار الفائدة شرعية في الدين وتثبيت المستوى النقدي وحفظ حرمة المراسلات التجارية . وقد بحثت مؤخراً حركة الباب بالنسبة لعلاقتها بالظائفة الاقتصادية التي واجهتها فارس في مطلع القرن التاسع عشر ويبين المؤلف زيادة على ذلك الاتجاه الجديد لميزة الدعوة الاساسية بعد ان القي القبض على (الباب) . عندئذ تجمع اتباعه في منطقة مازندران واقترحوا الثاء الملكية الخاصة التي اعتبروها منتصبة فقامت حكومة بالاتحاد مع طبقة الاقطاعيين الوثيقي الصلة بالحكومة فاغرقوا الثورة بالدماء. وانطفأت بذلك البابية وتحولت الى البهائية التي كان يديرها زعماء جدد من الخارج واتخذت حينئذ مظهراً انسانياً مسالماً وغامضاً بالوقت ذاته .

ان ما قيل عن الاساس الاجتماعي والسياسي لحركة (الباب) يقال ايضاً عن الثورة الفارسية التي قوضت عرش قاجار حيث ان ذات الطبقة من الشعب التي انتمت الى البابية اشتركت في هذه الثورة، غير ان الفرق هو انه بينما كان الباب يعمل بعقلية رجعية على اساس الدين، كان دماغ الثورة هذه في القرن العشرين يعمل على اساس علماني محض، وما علينا الا ان نطلع على صور المعارضين الذين طلبوا الحماية في المفوضية البريطانية سنة ١٩٠٤ لنتعرف الى تلك الطبقة من الشعب التي عارضت حكم الامراء (وبينهم امراء الكنيسة) والاقطاعيين الكبار.

رضا شاه:

من الصعوبة بمكان ان نتابع ابعد من هذا، فتبدل الاسلام في فارس في ظل حكم رضا شاه وبهلوي قد وجه الشعب نحو اعمال وآفاق جديدة فاهتمت الدولة بتطبيق النظم الاوروبية من شتى النواحي واهملت بعض المظاهر الدينية مثلاً كاحتفالات شهر محرم وغيرها فضعف نفوذ رجال الدين ولم يعد لهم اي تدخل في الامور السياسية وفي الزمن القلق بعد الحرب الكبرى الثانية ابتدأ رجال الدين في استرداد مركزهم السابق ولكن من الافضل تخمين اية نتائج كانت لمجرى الحوادث السياسية.

ان هذا التخطيط الوجيز للدور الذي لعبته العوامل الدينية في تاريخ فارس منذ الفتح العربي يجيز لنا ان نكون بعض النتائج بصورة تقريبية.

اولاً: انه من غير اللائق ان نخضع حياة الدول الاسلامية لتأثير الشرائع الاسلامية الدينية وان اعتناق البعض لدين الاسلام كان في بعض الحالات كما قال مستر «سبول» مؤخراً نتيجة لبعض العوامل السياسية والاقتصادية وفي حالة مثل هذه يجب علينا حتماً ان نأخذ بعين الاعتبار الثقافة العامة قبل الاسلام والهامها الاسلامي الزائد فمثلاً في كل الاوقات كما لاحظ (دي كوبينو) شعر سيد ابطال الفرس بانه يجب عليه ان يسير جنباً الى جنب مع الايمان بالاغة، وقد ساند الوعي الوطني في ايام الشعوبيين، واستفاد منها الملوك الذين كانوا يفاخرون باصلهم الفارسي، وعلى العموم قدمت في الشرق الاوسط مساطر من الفضيلة مشى

توجيها الامراء. وشكلت ثقلاً معاكساً للبدو. والسكينة التي بشرت فيها الصوفية.

ان بعض الاشعار الفارسية الشهيرة (الشاهنامة) وشعر (النظامي) موضوعة على اساس تقليدي فارسي او علماني محض وشعر المديح او التقريظي الذي يؤلف جزءاً مهماً من الشعر الفارسي ايضاً مستلهم من مصادر غير دينية حتى ان ذلك الفن الفارسي الرفيع من التصوير الفني الملون يظهر تفاضل اعمال الابطال والى درجة صغيرة جداً فكرة الصوفية الدينية.

ثانياً — لقد تكلم مستر سبولر حقاً عن الحزب الديني الحكومي الذي تجمع اتباعه حول اهل السنة الرسميين، وعلى هذا الاساس كان لطبقة السنة طابع خاص، ومن المعلوم ان الطبقة العليا من (البيروقراطية) التي وضعت نفسها بجانب الغزاة من الاتراك والمغول خدمت الشعب بان ساعدت على تمدين الغزاة وتخفيف حدة الادارة الاجنبية وبربريتها مع انه في نفس الوقت وبخضوع هذه الطبقة العام للغزاة قد ثبتت مكانة الغزاة الفاتحين وسهلت اخضاع الشعب.

ثالثاً — ان الغزوات الاجنبية انقلت كاهل الطبقات السفلى التي دفعت اخيراً الضربات الاضافية كافة لاطعام جموع الغزاة، وان مصادرنا التاريخية تعكس فقط وجهة نظر الطبقات الحاكمة ولكننا رويداً رويداً ابتدأنا بكشف النقاب عن حقائق عديدة من التجارب والمعاملات الادارية والطبقات غير الرسمية فهي حياة لا تتغير يقاطعها انتفاضات شديدة، ان هذه المستندات جميعاً وافية المعلومات كما كان متوقعاً ان تكون في عهد المؤرخين وخاصة مؤرخي الاسلام، ولقد قام مؤخراً احد زملائنا بتحضير عمل غني بالتفاصيل مظهراً كيف ان نظاماً قديماً للزراعة بقي طول هذا الزمن في فارس الى يومنا هذا. ان الاسلام الرسمي بما يضمه من قضاة ووعاظ نادراً ما كانوا يميلون نحو الطبقة العامة، ولقد كانوا دائماً بجانب الاقطاعيين حيث ان الطبقة العليا من رجال الدين كانت تملك الاراضي الشاسعة والطبقة الوسطى من رجال الدين وتتكل على السلطات لتوزيع النفقات والمصروفات.

رابعاً — من تأثير هذه الظروف تبنى (الاسلام غير الرسمي) قضية الطبقات السفلى متكاتفين اولاً مع مؤيدي عهد ما قبل الاسلام واخيراً مع

الصوفية ، وبينما نرى الاحزاب والكتل الغربية تهيئ نظماً دقيقة ، وتحافظ على تقاوة تعاليمهم نجد المعارضة تفقد حياة خطرة وتستند الى قبول المصالحات والتحالف وبهذه الطريقة نجد ان الاسلام الفارسي غير الرسمي قد احتفظ دوماً بآثار مختلفة الاجناس والاشكال من الاتصالات التي اصبحت فيما بعد من البدع ولكنها كانت سهلة ومحببة من الجماهير ، ومن الغريب ان وجود احياء تتجسد فيهم الروح الالهية قد ساهمت في مساعدة العناصر التي لم تحظ بالعدل على ايدي الطبقة الحاكمة حتى ان الفئة المعتدلة من طبقة الشيعة الرسمية كانت تحتوي على مجموعة من الرموز لجمعيات مختلفة كاتحاد بيت علي مع امراء الساسانيين وآلام الشهداء منهم كل هذا قد جعلها قوة حية اكثر من التعاليم التي في الشريعة الاسلامية .

ان احد زملائنا المحترمين اصدر حكماً مجحفاً بحق الشيعة متهماً اياهم بالسرية فيما يتعلق بابهامهم المعنوي الغير جذاب للطعم واحساساتهم النفسية وعلى كل حال فيجب عدم التكلم عن الاسلام وتفرعاته بصورة منطقية لان فحواه واحداثه تتغير حسب حالات الزمن والمكان فمثلاً في العجم يجب ان يعتبر فوق كل شيء تبدل التاريخ ، فالفرس كانوا غزاة بل مغزوين بغض النظر عن ازمنة ذات طابع غامض ، فمنذ تاريخ الفتح العربي حتى سنة ١٨٠٠ ظل الفرس محكومين مدة سبعماية سنة من الاجانب بينما حكموا من قبل ملوك وحكام اهليين مدة اربعمائة سنة ، لذلك فهذا يفسر شعورهم الصحيح وحاجتهم لطلب السرية التامة ، من هذه الناحية وحتى اعمال الاحتفالية التي استوجبت اللوم قامت بقسط وافر في سبيل وقف الغزاة واصلاح الضغط ولهذا نجد ان الشاه اسماعيل وجد طريقاً سهلة الى قلوب الفرس عندما قام بالقوة المسلحة بتحطيم « الاسلام الرسمي» وليس فقط في غضون /٢٢٢/ سنة من حكم (الصفويين) بل حتى يومنا هذا نجد ان الشيعة بصوتها ونداتها المعارض واستشهادها وثورتها تتناسب تماماً مع الخلق الفارسي الذي طبعها بطابعه وكونها بكونه وان مرور تاريخ طويل يختلف تماماً عن تاريخ الشعوب المجاورة .